(٨٩)
ذات السلاسل

* ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾

[سورة البقرة: آية: ٢٦١]

* ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾﴾

[سورة البقرة: آية: ٢٤٥]

* * *

«المدينة المنورة، فى جمادى الآخرة للسنة الثامنة للهجرة، ترد الأخبار بأن جموعًا من بلىّ وقضاعة قد أخذت تتجمع فى ذات السلاسل وراء وادى القرى تريد أطراف المدينة.. النبى ﷺ يتشاور وكبار الصحابة بعد أن تأكدت الأخبار، فيستقر على إرسال سرية إلى هذه التجمعات.. اختار لقيادتها عمرو بن العاص يرشحه لهذه المهمة أنه ذو رحم فى هذه القبائل، فأم العاص ابن وائل بلوية، فأراد عليه السلام أن يتألف بعمرو من يمر بهم من قبائل العرب من بَلِىّ، وعُذْرة، وبَلقين..».

«بظاهر المدينة، وقد اجتمع لعمرو بن العاص نحو ثلاثمائة من سراة المهاجرين والأنصار، فيهم عامر بن ربيعة، وصهيب بن سنان وأبو الأعور سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل، وسعد بن أبى وقاص.. ومن كبار الأنصار: أسيد بن حضير، وعباد بن بشر، وسلمة بن سلامة، وسعد بن عبادة.. النبى - عليه السلام - فى وداعهم، يعقد لعمرو بن العاص لواء أبيض، ويجعل معه راية سوداء، فتخرج السرية ومعها ثلاثون فرسًا مشيعة بدعوات المسلمين وتوجيه إمام العزم الأكبر أن يسيروا ليلا ويكمنوا نهارًا طلبًا للخفاء والكتمان..».

* * *

«بعد أيام.. السرية وقد وصلت على ماء بأرض جزام يقال له السلاسل والسَّلْسل.. عمرو بن العاص يبث العيون والأرصاد لمعرفة أعداد القوم وعتادهم.. المسلمون يضربون مضاربهم انتظارًا لما تأتى به العيون، ويريد بعضهم أن يستعين على برودة الشتاء والليل، فيأخذون فى جمع الحطب يريدون أن يتدفأوا به..».

عمرو بن العاص : (ينادى وقد بلغه ما يزمعه المسلمون) لا تفعلوا!!

بعض المسلمين : لم؟!.. نحن فى الشتاء والبرد قارس!

عمرو : سيرى القوم نيراننا!

البعض : نستطيع أن نداريها..

عمرو : بل لا توقدوا نارًا!

«بعض الصحابة يغلبه الضيق، ويشتد أحدهم على عمرو فيغالظه..».

عمرو : (للصحابى) أمرت أن تسمع لى وتطيع!..

الصحابى : نعم

عمرو : فافعل!

«الصحابة والمسلمون يصدعون، ويقلعون عما كانوا قد شرعوا فيه..».

* * *

«بعد ساعات، وقد أفادت العيون والأرصاد أن جموع القوم كثيرة، تفوق المسلمين أضعافًا.. عمرو بن العاص يشاور الصحابة، فيرون أن يرسلوا إلى رسول الله يخبرونه بالأمر ليمدهم أو

يأمر بما يراه.. عمرو يدعو إليه رافع بن مكيث الجهنى، فيرسله إلى النبى - عليه السلام - بخبر ما يصادفونه..».

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى عليه السلام فى صحابته.. يدخل رافع ابن مكيث الجهنى فيسلم على النبى ﷺ ويخبره بما صادفوه.. النبى يشاور الصحابة، فيقر الرأى على أن يرسل معه مددًا من سراة المهاجرين، فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب، وعدة من الأنصار.. يختارعليه السلام للقيادة أبا عبيدة ابن الجراح.. يناديه إليه..».

أبو عبيدة : لبيك يا رسول الله

النبى : الحق وأصحابك بعمرو بن العاص..

أبو عبيدة : نفعل إن شاء الله..

النبى : كونا جميعًا ولا تختلفا..

أبو عبيدة : نفعل فداك أبى وأمى يا رسول الله..

* * *

«ذات السلاسل، مضارب المسلمين وقد وصل المدد فى نحو مائتين بقيادة أبى عبيدة بن الجراح وحل ميقات الصلاة فتقدم أبو عبيدة ليؤم المسلمين..».

عمرو بن العاص : (معترضًا) إنما قدمت علىّ مددًا لى، وليس لك أن تؤمنى وأنا الأمير!

الصحابة : كلا، بل أنت أمير أصحابك وهو أمير أصحابه!

عمرو : لا، بل أنتم مدد لنا!

بعض الصحابة : إن أبا عبيدة أميرنا، وهو أسن وأقدم سابقة.

عمرو : ما أنكرت سابقته، ولكنى الأمير وجئتم مددًا لنا..

أبو عبيدة : (فى رفق وحلم) يا عمرو، تعلمن أن آخر شىء عهد إلى رسول الله أن قال: إذا قدمت على صاحبك فتطاوعا ولا تختلفا! وإنك والله إن عصيتنى لأطيعنك!..

عمرو : فإنى الأمير عليك وأنت مددى!

أبو عبيدة : (وهو يخلى له ليؤم المسلمين) فدونك!

* * *

«خباء أبى عبيدة بن الجراح، يدخل عليه المغيرة بن شعبة غاضبًا..»

المغيرة بن شعبة : إن رسول الله قد استعملك علينا.. وإن ابن فلان قد اتبع أمير القوم فليس لك معه أمر!

أبو عبيدة : (مهدئًا فى رفق) إن رسول الله قد أمرنا أن نتطاوع، فأنا أطيع رسول الله وإن عصاه عمرو..

«المغيرة بن شعبة تأخذه سماحة أبى عبيدة، فينصرف صادعًا دون أن يعقب بشىء!».

* * *

«مضارب المسلمين، رافع بن أبى رافع الطائى فى بعض المسلمين، يذكر لهم ما كان عليه أمره فى الجاهلية قبل أن يهتدى بنور الإسلام..».

رافع بن أبى رافع الطائى: كان اسمى سَرْجس، وكنت أغير فى الجاهلية على أموال الناس، وكنت أدلّ (أخْبر) الناس بهذا الرمل (يشير إلى الصحراء).. كنت اتقاء للظمأ أجمع الماء فى بيض النعام فأجعله فى أماكن أعرفها، فإذا مررت بها وقد ظمئت استخرجتها فشربت منها..»

«رافع يلملم عباءته وينهض..»

بعض من حوله : إلى أين؟

رافع : أختار لنفسى صاحبًا ينفعنى الله به..

«رافع يمشى ينشد أبا بكر الصديق، وقد ملأه الإعجاب به، يتغيا أن يلازمه ولا يفارقه..».

* * *

«مضارب المسلمين فى ذات السلاسل وهم يترقبون لقاء الحشود المتجمعة من قضاعة وبلىّ.. عوف بن مالك الأشجعى يمر فى العسكر فيلقى قومًا بأيديهم جزور قد نحروها ولكنهم عجزوا عن أن يُبَعّضوها..».

عوف بن مالك : إنى عالم بالجزر!

أحدهم : لله درك!

عوف : أتعطونى عليها وأقسمها بينكم؟

بعضهم : نعم، نعطيك عشيرًا منها..

«عوف بن مالك يتناول شفرة، ويأخذ فى تقطيع الجزور وتجزئتها فيما بينهم، حتى إذا ما انتهى يحمل ما قسموه له، وينصرف..».

* * *

«بناحية من مضارب المسلمين، وقد نهض عوف بن مالك على طهى نصيبه، وأولم به لبعض الصحابة وفيهم أبو بكر وعمر..».

أبو بكر وعمر : (متباسطين) من أين لك هذا اللحم يا عوف!

عوف : نصيبى من جزور قمت بتقطيعه وتبضيعه لأصحابه..

«عوف يأخذ فى سرد ما كان..»

أبوبكر وعمر : (عاتبين) والله ما أحسنت حين أطعمتنا هذا!

عوف : (وقد فجأه العتاب) لم؟

أبو بكر : تعجلت أجرك!

«عوف تأخذه الحيرة ويلجمه العتاب فلا يحير جوابًا..».

* * *

«مع عماية الصبح، تبدأ قضاعة ومن معها من القبائل فى رمى المسلمين بالنبل.. يصاب فيمن أصيبوا فى تبادل الرمى عامر بن ربيعة.. أصيب بسهم فى ذراعه.. يشتد القتال بين الفريقين فيبلى المسلمون بلاءً عظيمًا، ويشدون على الجموع المتربصة بهم فى معركة عظيمة فتفر قبائل الشرك منهزمة متفرقة فى البقاع المحيطة..».

«بعد أيام وقد استوثق عمرو بن العاص من أنه لم يعد لهم خطر وتفرقوا أشتاتًا، يؤثر عمرو منع المسلمين من ملاحقتهم، ويزمع العودة بالسرية إلى المدينة، ينادى عوف بن مالك

الأشجعى ويبعثه إلى المدينة ليسبقهم إلى رسول الله بشيرًا بظفرهم وعودتهم سالمين مجبورين..».

* * *

«فى طريق العودة إلى المدينة.. رافع بن أبى رافع الطائى يتحين فرصة للحديث إلى أبى بكر الصديق والاستماع إليه.. ما إن يحطوا الرحال للراحة فى بعض الطريق وقد دنوا من المدينة، حتى يسأل أبا بكر..».

رافع بن أبى رافع الطائى: يا أبا بكر رحمك الله، إنما صحبتك لينفعنى الله تعالى بك، فانصحنى وعلمنى شيئًا ينفعنى الله به..

أبو بكر : لو لم تسألنى ذلك لفعلت..

«أبو رافع يترقب منصتًا بكل حواسه..»

أبو بكر : (موصيًا) وحد الله ولا تشرك به شيئًا، وأقم الصلاة، وآت الزكاة، وصم رمضان، وحج البيت ولا تتأمَّر (تتسلط) على اثنين من المسلمين..

رافع : ما أمرتنى به من توحيد فإنى والله لا أشرك به أحدًا أبدًا، وأما ما أمرتنى به من الصلاة والصوم والحج فأنا فاعله.. وأما الإمارة فإنى رأيت الناس لا يصيبون الشرف والمنزلة عند الناس إلاّ بها!

أبو بكر : إنك استنصحتنى فجهدت لك نفسى..! إن الله تعالى بعث محمدا ﷺ بهذا الدين، فجاهد عليه حتى دخل الناس فيه، فلما دخلوا فيه أجارهم الله من الظلم، فهم عَواذ الله وجيرانه وفى ذمته وأمانته، فمن أخفر فإنما

يخفر الله فى جيرانه، فإياك أن تُخْفر ذمة الله فى جيرانك فَيَتْبَعَك الله تعالى فى خُفْرته، فإن أحدكم يخفر الله تعالى فى خفرته فيظل ناتئًا عَضَلُه غضبًا لجاره إن أصيبَ له شاة أو بعير، فالله أشد غضبًا لجاره ومن وراء جاره..

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، وقد وصل عوف بن مالك بأخبار النصر، يستقبلها المسلمون بالمسرات والتكبيرات، فلا تمنع الأفراح شوق عوف بن مالك أن يطير بالخبر إلى رسول الله ليبلغه فى بيته ولا أوقفت شوقه إلى معرفة حكمه عليه السلام فيما اجتهدوا فيه فى رحلة جهادهم إلى ما وراء وادى القرى.. يبادر مالك إلى النبى عليه السلام فى السحر وهو يصلى فى بيته..».

عوف بن مالك : السلام عليك ورحمة الله وبركاته يا رسول الله..

النبى : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته. أعوف بن مالك؟

عوف : نعم. بأبى أنت وأمى يا رسول الله..

النبى : (متبسما) أصاحب الجزور؟

عوف : نعم يا رسول الله..

«النبى عليه السلام لا يعقب..»

النبى : (مستأنفا) أخبرنى..

«عوف ينطلق فيروى لرسول الله عليه السلام ما كان من أمر مسيرهم ومقدم المدد وما جرى بين عمرو بن العاص وأبى عبيدة بن الجراح ومطاوعة أبى عبيدة..».

النبى : (معقبًا فى رضا) رحم الله أبا عبيدة بن الجراح!

«عوف بن مالك يسترسل فى رواية أنباء السرية لرسول الله - عليه السلام - وما كان من أمر النار التى أراد الصحابة إيقادها فمنعهم عمرو بن العاص، وأنه فى ليلة شاتية شديدة البرودة استيقظ عمرو وهو جنب ولم يقدر على الاغتسال لشدة البرد فتيمم ثم صلى بالناس.. عوف بن مالك يتطلع إلى حكم رسول الله، ولكنه عليه السلام يسمع ولا يعقب..».

* * *

«بعد يومين، وقد وصلت السرية إلى المدينة تسبقها أنباء الانتصار، وتستقبلها الأفراح والتكبيرات.. يبادر عمرو بن العاص والصحابة إلى المسجد النبوى تملؤهم الأشواق إلى لقاء الرحمة المهداة..».

«المسجد النبوى، النبى عليه السلام محوطًا بالمسلمين وأفراحهم التى تغشتهم.. يدخل الصحابة يتقدمهم عمرو بن العاص فيسلمون على النبى - عليه السلام - ويجلسون إليه.. يمضى بهم الحديث حول ما كان فى السرية، فيسأل النبى - عليه السلام - عن الحوار الذى غلظ بين عمرو وبين الصحابة لمنعه إياهم من إيقاد نار يتدفأون بها من زمهرير الليل.. ثم

إيثار عمرو عدم ملاحقة الفارّين من بنى قضاعة وأحلافهم..».

عمرو بن العاص : يا رسول الله كرهت أن يوقدوا نارًا فيرى عدوهم قلتهم، وكرهت أن يتعقبوهم فيكون لهم مدد فيعطفوا علينا.

«النبى - عليه السلام - يستحسن تصرف عمرو ويحمده له ويثنى عليه..».

النبى : يا عمرو صليت بأصحابك وأنت جُنُب؟!

عمرو بن العاص : والذى بعثك بالحق إنى لو اغتسلت لمت، لم أجد بردًا مثله قط، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [سورة النساء: آية: ٢٩]

«النبى - عليه السلام - يضحك متبسمًا ولا يزيد..».

* * *

«المدينة، وقد وصلت أنباء بأن قريشًا نقضت العهد، وأن أشرافًا من قريش قد أعانوا بنى نفاثة وبنى بكر بالرجال والسلاح ليغيروا على «خزاعة»، فأغاروا عليها وأعملوا فيها القتل والسبى، حتى لام الحكماء من قريش - المغيرين على مافعلوا، وزاد سهيل بن عمرو وعكرمة بن أبى جهل أن دمغوا ذلك بأنه نقض للعهد الذى بين قريش ومحمد!».

«بيت النبى بالمدينة.. يدخل الرحمة المهداة - عليه السلام - وعلى محياه أمارات الضيق والغضب.. ينادى على أهل بيته..».

النبى : يا عائشة: لقد حدث فى خزاعة أمر!!

عائشة : يا رسول الله، أترى قريشًا تجترئ على نقض العهد الذى بينك وبينهم؟!

النبى : ينقضون العهد لأمر يريده الله..

عائشة : يا رسول الله: خيرٌ؟

النبى : خير.

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى – عليه السلام – فى صحابته وقد فرغوا من سماع عمرو بن سالم الخزاعى عما ألحقه غدر قريش بخزاعة..».

النبى : (مواسيًا) نُصرت يا عمرو بن سالم.. (يستأنف موجهًا حديثه له وللمسلمين) لا نصرنى الله إن لم أنصر بنى كعب!

«النبى – عليه السلام – ينهض غاضبًا وهو يجر رداءه والمسلمون يرقبونه مستطلعين..».

النبى : لا نُصرت إن لم أنصر بنى كعب مما أنصر منه نفسى! (يستأنف) والذى نفسى بيده لأمنعنهم مما أمنع منه نفسى وأهل بيتى..

(يلتفت إلى عمرو بن سالم) ارجعوا ياعمرو وتفرقوا فى الأودية.

عمرو بن سالم : (وهو يمضى) نفعل إن شاء الله حتى يقضى الله أمره يا رسول الله..

«ينصرف عمرو بن سالم..»

النبى : (للمسلمين) لكأنكم بأبى سفيان قد جاء يقول: جدد العهد وزد فى الهدنة، وهو راجع بسخطه..

* * *

«مكة.. منتدى قريش بظاهر الكعبة.. لفيف من قريش قد اجتمعوا ينظرون فى عواقب ما كان من أمر إعانة قريش لبنى نفاثة وبنى بكر على غزو خزاعة والإغارة عليها..».

بعض القرشيين : (لا يخفون قلقهم) إن محمدًا غازينا!

عبد الله بن أبى سرح: عندى رأى..

بعضهم : ما هو؟

عبد الله بن أبى سرح: إن محمدًا لن يغزوكم حتى يَعْذر إليكم، ويخيركم فى خصال ثلاثة كلها أهون من غزوه!

القرشيون : ما هى يا عبد الله؟

عبد الله بن أبى سرح: يرسل إليكم أن دوا (أدوا دية) قتلى خزاعة وهم ثلاثة وعشرون قتيلا، أو تبرءوا من حلف من نقض الصلح وهم بنو نفاثة، أو ينبذ إليكم على سواء.. (يستأنف)، فما عندكم فى هذه الخصال؟

بعض القرشيين : أحْرِ بما قال ابن أبى سرح.

سهيل بن عمرو : ما خلة أهون علينا من أن نبرأ من حلف بنى نفاثة.

شيبة بن عثمان العبدرى: حفظت أخوالك، وغضبت لهم!

سهيل بن عمرو : وأى قريشٍ لم تلده خزاعة؟!

شيبة العبدرى : ولكن ندى (نؤدى دية) قتلى خزاعة.. فهو أهون علينا.

قُرظة بن عبد عمرو: لا والله لا يودون (لاتؤدى ديتهم) ولا نبرأ من حلف بنى نفاثة، ولكنا ننبذ إليه على سواء.

أحدهم : ليس هذا بشىء، وما الرأى إلاّ جَحْد هذا الأمر، أن تكون قريش دخلت فى نقض عهد أو قطع مدة وإنه قطع قوم بغير رضًا منا ولا مشورة.. فما علينا بأس!

القرشيون : (مرحبين) هذا هو الرأى ولا رأى غيره!

* * *

«مكة وقد اختلط القلق من عواقب نقض العهد ومناصرة بنى نفاثة وبنى بكر على خزاعة - بالأخبار التى تترى وتتجمع بأن الانتصارات تتحقق تباعًا للنبى والمسلمين، وأن قبائل شبه الجزيرة العربية قد باتت تتحدث عن المسلمين ولا تخفى خشيتها ممزوجة بالإعجاب.. قريش تخيفها هذه الأنباء بقدر ما تغيظها وتحنقها.. لا تعرف فى خوفها وغيظها ماذا سوف يكون رد محمد - عليه السلام - على ما حدث مع خزاعة!!».

«دار الندوة، بظاهر الكعبة.. أبو سفيان فى نفر من كبار قريش، يأتيه الحارث بن هشام وعبد الله بن أبى ربيعة».

الحارث بن هشام : يا أبا سفيان هذا أمر لا بد له من أن يُصْلح!

عبد الله بن أبى ربيعة : والله لئن لم يُصْلح هذا الأمر لا يروعكم إلاّ محمد فى أصحابه!!

أبوسفيان : قد رأت هند (بنت عتبة) رؤيا كرهْتها وأفظعتها وخفت من شرها.

الحارث وعبد الله والقرشيون : وما هى؟!

أبوسفيان : رأت دمًا أقبل من الحَجُون يسيل حتى وقف بالخندمة (جبل بمكة) مليًّا، ثم كأن هذا الدم لم يكن!

القرشيون : هذا شر!!

أبو سفيان : هذا والله أمرٌ لم أشهده ولم أغب عنه، لا حُمل هذا عليّ.. لا والله ما شوورت فيه ولا هويته حين بلغنى.. (يستأنف قلقًا) والله ليغزونا محمد إن صدقنى ظنّى، وهو صادقى..

القرشيون : فماذا ترى يا أبا سفيان؟!

أبوسفيان : ما لى بد من أن آتى محمدًا..

القرشيون : (مرددين فى استنكار) تأتى محمدًا؟!

أبو سفيان : نعم. آتى محمدًا فأكلمه أن يزيد فى الهدنة ويجدد العهد.

القرشيون : قد والله أصبت الرأى!

أبو سفيان : إنى خارج إلى محمد إذن..

«ينصرف ...»

* * *

«على ساحل البحر الأحمر.. سرية من المسلمين فى نحو ثلاثمائة من المهاجرين والأنصار فيهم عمر بن الخطاب.. خرجوا بقيادة أبى عبيدة بن الجراح قاصدين حى جهينة بالقَبَليّة مما يلى ساحل البحر الأحمر على خمس ليال من المدينة.. تطول المهمة وتمضى الأيام بالسرية والمكان جدب لا زرع فيه، بينما فنى الزاد الذى خرج المسلمون به من المدينة.. لا يجد أبو عبيدة بدًا من أن يجمع كل ما تبقى مع المسلمين من زاد ليتولى توزيع القليل منه كل يوم على الجميع بالسوية.. لا يعطى المسلمين سوى قبضة قبضة حتى لا ينفد الزاد القليل المتبقى. ثم يضطر ألا

يعطيهم سوى تمرة تمرة حتى كاد الجوع أن يهلكهم فاضطروا إلى أكل «الخبط» (ورق شجر يخبط بالعصا لتعلفه الإبل) المتناثر من شجر الطلح!

بعض المسلمين : (للبعض) لو لقينا عدوًا ما كان بنا حركة إليه لما بنا من الجهد!

مسلم : لقد صرت أمص التمرة وأصرها فى ثوبى حتى لا تفنى وأفنى!

مسلم آخر : لولا «الخبط» الذى نضربه بعصينا ونبله بالماء لهلكنا!

مسلم آخر : لقد تقرحت أشداقنا!

«تظهر فى الأفق قافلة صغيرة من جهينة معها بعض الجزر والعير والشياه».

قيس بن سعد بن عبادة: (ينادى على القافلة) من يبيعنى جزورًا أنحرها هاهنا وأوفيه سقةً (جمع وسق وهو الحمل) من تمر بالمدينة؟

عمر بن الخطاب : (لمن حوله) واعجباه لهذا الغلام لا مال له يدين فى مال غيره؟!

الجهينى : (لقيس بن سعد) والله ما أعرفك – فمن أنت؟

قيس بن سعد : أنا قيس بن سعد بن عبادة بن دُلَيْم..

الجهينى : ما أعرفتنى بنسبك! أما إن بينى وبين سعد حُلَّة، سيد أهل يثرب.

«يتفاوضان، فيشترى قيس خمس جزر كل جزور بوسقين من تمر..».

الجهينى : (مشترطًا) على أن يكون التمر تمر ذخيرةٍ مُصلّبة (يابس) من تمر آل دُلَيْم.

قيس بن سعد : (موافقًا) نعم.

الجهينى : فأشهد لى.

«قيس يشير إلى نفر من الأنصار ومعهم نفر من المهاجرين..».

قيس : (للجهينى) فأشهد من تحب.

«الجهينى يختار بعض الأنصار والمهاجرين ليشهدهم - وفيهم عمر بن الخطاب..».

عمر بن الخطاب : (معترضًا) لا أشهد!

الجهينى : لم؟!

عمر بن الخطاب : هذا يدان ولا مال له، وإنما المال لأبيه!

الجهينى : والله ما كان سعد ليُخْنى (يخفر ذمته ويسلمه) بابنه فى سقةٍ! (يلتفت إلى قيس) وأرى وجهًا حسنًا وفعالاً شريفًا..

«يشهد بعض الأنصار والمهاجرين.. فتمضى الصفقة إلى غايتها.. يسارع قيس فينحر للمسلمين من الجزر التى اشتراها، ويقبل المسلمون على الطعام هانئين يفارقون الجوع الذى كاد أن يهلكهم..».

* * *

«اليوم الرابع، وقيس بن سعد يريد أن ينحر للمسلمين جزورًا رابعًا.. ما يكاد يشرع حتى يأتيه أبو عبيدة وعمر بن الخطاب مسرعين..».

أبو عبيدة بن الجراح: (معترضًا) تريد أن تُخفر (تخرب) ذمتك ولا مال لك؟

قيس بن سعد : لا بأس علىّ!

أبو عبيدة : عزمت عليك ألاَّ تنحر، أتريد أن تخفر ذمتك ولا مال لك؟

قيس بن سعد : (مطمئنًا) يا أبا عبيدة أترى أبا ثابت (سعد بن عبادة) وهو يقضى ديون الناس، ويحمل الكَل، ويطعم فى المجاعة، لا يقضى عنى سقة تمر لقوم مجاهدين فى سبيل الله؟!

«أبو عبيدة يكاد يلين، فينبرى عمر بن الخطاب..».

عمر بن الخطاب : (لأبى عبيدة) اعزم عليه.. اعزم عليه!

أبو عبيدة : عزمت عليك يا قيس ألا تنحر..

«قيس بن سعد يرضخ كارهًا..»

* * *

«على ساحل البحر، وقد ألقت مياهه بحوت كبير.. يطير إليه المسلمون فرحًا بالطعام الذى قذف به البحر إليهم..».

أحدهم : إنه مثل الظَّرب (الجبل الصغير)..

الآخرون : سيكفينا وزيادة لأيام..

«المسلمون يقبلون على الحوت، فيسارعون إلى إيقاد النار يتهيأون لإعداد الوجبة الشهية وحفظ الباقى من لحمه وودكه (دهنه) لقادم الأيام!».

* * *

«المدينة.. بعد أيام، وقد آبت سرية «الخبط» من سيف البحر سالمة.. يستقبلها المسلمون بالأفراح والتكبيرات، بينما يسارع قيس إلى دار أبيه سعد بن عبادة ليفى للجهينى بحقه..».

* * *

«دار سعد بن عبادة فى حى الخزرج بالمدينة..
يدخل قيس ومعه الجهينى فيستقبله أبوه فرحًا بسلامته، ولكنه لا يلبث أن ينظر إلى الجهينى مستطلعًا..».

قيس بن سعد : (لوالده) إنه من بنى جهينة، جعنا وكدنا أن نهلك فى سريتنا حتى لم نجد سوى «الخبط» - فاشتريت منه جزرًا لأنحرها للمسلمين، على أن أؤديه ثمنها بالمدينة..

سعد بن عبادة : أحسنت، قد سبقت إلينا أخباركم فقلت لمحدثى إن كان ولدى قيس كما أعرفه فسوف ينحر للقدوم.

قيس : وقد نحرت.

سعد : أصبت، انحرْ!

قيس : ثم نحرت ونحرت.

سعد : أصبت. انحر

قيس : نهُيت!

سعد : ومن نهاك؟

قيس : أميرى: أبوعبيدة بن الجراح.

سعد : ولم؟!

قيس : قال إنه لا مال لى وإنما المال لأبيك، فقلت له إن أبى يقضى عن الأباعد، ويحمل الكَلّ، ويطعم فى المجاعة، ولا يصنع هذا بى!

سعد : لك أربعة حوائط (بساتين) أدنى حائط (بستان) منها تجد منه خمسين وسقًا فأعط الجهينى حقه..

الجهينى : يا أبا ثابت! والله ما مثل ابنك صنعت ولا تركت بغير مال، فابنك سيد من سادات قومه، نهانى الأمير أن أبيعه.

قلت: لم؟ قال: لا مال له! فلما انتسب إليك عرفته فتقدمت لما عرفت أنك تسمو على معالى الأخلاق وجسيمها، وأنك غير مُذمٍّ بمن لا معرفة له لديك..

* * *

«المسجد النبوى بالمدينة، النبى – عليه السلام – وسط المسلمين المغمورين بالمسرات لعودة السرية سالمة.. يدخل سعد بن عبادة فييمم شطر النبى – عليه السلام – يسلم ويجلس، ثم يلتفت إلى عمر ابن الخطاب مداعبًا ويقول للرحمة المهداة..».

سعد بن عبادة : يا رسول الله من يعذرنى من ابن الخطاب؟

صحابى : لمَ يا أبا ثابت.

سعد بن عبادة : يَبخل على ابنى، ينهاه عن النحر للمسلمين..

«المسلمون يروون للنبى – عليه السلام – ما صنعه قيس بن سعد..».

النبى : (راضيًا) إنه من بيت جود.. إن الجود لمن شيمة أهل ذلك البيت..

* * *

«بيت النبى ﷺ بالمدينة، النبى – عليه السلام – قانت يصلى ويتعبد إلى الله ويناجيه، يتنزل عليه جبريل – عليه السلام – فيوحى إليه..».

جبريل : (يتلو على محمد) ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ

وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾ [سورة البقرة: آية: ٢٦١]

(يرتفع الوحى)

النبى : (ضارعًا إلى ربه) رب زد أمتى..

جبريل : (يتنزّل فيوحى إلى محمد) ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾ [سورة البقرة: آية: ٢٤٥]

(يرتفع الوحى)

* * *